

محمد متولى الشغراوي



أعداء
الإسلام

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

مزيد من الكتب وفي جميع المجالات

زوروا

منتدى إقرأ الثقافي

الموقع: [/HTTP://IQRA.AHLAMONTADA.COM](http://iqra.ahlamontada.com)

فيسبوك:

[HTTPS://WWW.FACEBOOK.COM/IQRA.AHLAMONT](https://www.facebook.com/iqra.ahlamontada)

[/ADA](https://www.facebook.com/iqra.ahlamontada)



أفراد الاستلام

حقوق الطبع محفوظة الناشر



الشيخ محمد متولى الشعراوى

أمداد الإسلامية

أعدته ونشره
عبد فلاح الحريفي

كلام الله :

يتكلم الله بكلام من حروف كلمائنا ..

لذلك كان معجزا .. لأن فيه الحياة ، ولأنه يعطى دائما عطاء جديدا .. وكلام البشر حين يتكلمون يجهد على ما يكون عندهم من خواطر ساعة ما يتكلمون ولكن كلام الحق غير ذلك .. فهذا الكلام المعجز هو الذى ينبغى أن يسمى كتابا .. كما تقول فى رجل اجتمعت فيه خصال الخير والرجولة ، فنقول هذا الرجل .. وكان ما عداه ليس رجلا

والله تعالى قال :

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

فذلك الكتاب الذى يصح أن يسمى كتابا هو هذا القرآن .. لأنه بلغ القمة فى الوصف بالكتابية ، وضمن الله فيه الهدى والهدى هو الدلالة الموصلة الى المطلوب .. اذن .. فهو طريق الى خير مبتغى .

ومن الذى وضع الطريق الى الخير ؟ . انه الله ..

ومن اعلم من الله ؟ ..

اذن قد يضع البشر طريقا موصلا للخير ولكن علمهم محدود وقدراتهم محدودة .. وحكمتهم محدودة كذلك .. فهم يضعون الطريق على وفق هذه المحدودية فى القدرة والعلم والحكمة .

والله حين يضع للناس طريق هدى يضعه على منتهى حكمته وعلمه وقدرته . ثم يقول تعالى فى نفس الآية « **هدى للمتقين** » .. وهؤلاء وصفهم الله بأنهم الذين يؤمنون بالغيب .. بما غاب عنهم من اله قوى قادر خالق ، ويؤمنون بملائكته وبكتبه وبرسله ، ويؤمنون باليوم الآخر .. وكل ذلك أمور غيبية .. والأمور الغيبية تنطوى على امر القمة الغيبية وهو ان تؤمن بالله .. وبعد ذلك تؤمن بما قاله لك الله ..

فحين يقول الله « ملائكة » وانت لا تراهم فقل : نعم على الرحب والسعة ، هناك ملائكة وان كنت لا أراهم لأن الذى اخبرنى بهم آمنتم به بعقلى .. آمنتم بأنه اله .
بين الوجود والادراك :

مادام الله سبحانه وتعالى قال .. انى خلقت ملائكة

فلا ينبغي ان نتهم قول الله لاننا لا نرى ملائكة والا كانت عيوننا
نحكم على الله ، والله يريد ان يكون حكما على كل جوارحك
وعقلك .. فكونك لا تدرك الملائكة شيء ووجودهم شيء آخر
.. لأن وجود الشيء شيء وأدراكه شيء آخر . فأنت لك روح
تمضى بها حياتك فهل رايتها .. اسمعتها .. اذقتها ..
اشمعتها .. المستها بأى وسيلة من وسائل الإدراك ؟؟

لم تدرك روحك .. لكنك أدركتها بأثرها في حررته
مادتك بحيث اذا طلبت منك الروح صرت جيفة ورمة ، فأنت
عرفتها بأثرها فيك ، وهى مخلوقة لا ترى — بضم التاء —
ككيف بالخالق !! ..

اتريد وانت عاجز ان تدرك مخلوقا هو في ذاتك وهو في
نفسك ومع ذلك لا تدركه الا بأثاره ، ثم تحاول بعد ذلك ان
تقول انا لم أر الحق ..

انك لم تر الروح وهى مخلوقة فكيف ترهد ان ترى الحق
وهو خالق . ؟

ثم يقول تعالى عن المتقين : « الذين يؤمنون بالغيب » .

فاذا آمننا بالقيمة الغيبية آمننا بكل ما يقوله لنا ،
وان لم نره .

ويضرب الله الأمثال للناس في ذوات نفوسهم ، فقيل
ان يكتشف الميكروب كانوا يشاهدون في ذواتهم ظواهر امراض
ولا يدركون الا الظاهرة .. مثل الحرارة وغيرها .. ولا يعرفون
شيئا اسمه الميكروب .. فلما ارتقى العلم وأذن الله لمخلوق
من خلقه وهو الميكروب ان يتم مرآه للوجوه واذن الله للعقول
ان تكتشف المجاهل راينا الميكروب على صورة مكبرة ..

لم نر الميكروب في البداية لأنه كان دون طاقة ادراك
العين .. اى اقل من ان يدرك .. والشئ اذا قل عن طاقة
ادراك العين يقانون البصريات لا يمكن ان يدرك — بفتح
الراء — بدليل ان رجلا ضخما تراه امامك ثم يتولى عنك .
اى يسير بعيدا عنك ، فكما سار خطوة نقص مرآه لك
وتضاقل الى ان يصبح كالولد الصغير ، فاذا ظل سائرا لم
تره .. اذن .. أين ذهب ؟ .. هو موجود ولكنه وصل
بالبعد الى حد الصغر الذى لا تدركه عينك ، فاذا ما جئنا
بميكروب لهقرب البعيد ، ادركنا الرجل ..

اذن فعدم رؤيتك للشئ لا يعنى انه غير موجود ،
ولكن آلة ادراكه هى العاجزة ..

لو ان القدماء حدثناهم من قبل بأمر الميكروب .. اكانوا
يصدقون ؟ ..

بالطبع لا يصدقون .. اذن . . ترك الله بعض الخلق

غير مدرك في زمن لأنه دون واقل من مستوى رأى العين ثم
تدركنا عليه في زمن آخر فرأيناه ..

كأن الله يقول لك .. لا تنكر الغيب .. فهذا كان غيبا
في القديم ثم صنعت لك الآلات لتراه حتى تستدل على ان الغيب
قد يكون موجودا ولكنك لا تراه .

اذن ، فالذين يؤمنون بالغيب .. قمة الايمان أن يؤمنوا
بالله ، وان يؤمنوا بما اخبر الله به .

ثم قال تعالى : « **ويقيمون الصلاة** » لادامة ولاء العبودية
للحق متجددا خمس مرات كل يوم .

شمولية مفهوم الرزق :

يقول تعالى : « **ومما رزقناهم ينفقون** » ..

يظن بعض الناس أن الرزق هو ما يتعلق بالأموال
والنفعيات من أرض وخير .. فنقول لا .. فالرزق هو ما
انتفع به ، فالقوة رزق ، والعلم رزق ، والحكمة رزق ،
والتواضع رزق ، وكل ما فيه حركة للحياة رزق ، فلا تقل
انا ليس عندي مال لأتفق منه .. لديك عافية فتصدق بالعافية
تصدق بها على العاجز ..

عندك حلم .. انفقته للأخرق ..

عندك علم .. انفقته للجاهل .

اذن فمما رزقناهم ينفقون .. تستوعب كل اقضية
الحياة ، وكل كمالات الوجود .. حتى لو ذهبت الى انسان
لا يجيد صنعة شيء فاصنعه له لأنك تجيده .

اذن فاجادة الاشياء رزق ايضا ..

حقا .. ان « مما رزقناهم ينفقون » تستوعب كل حركة
الحياة ..

ايمان الكفار وأهل الكتاب :

. نشاهد ان الله جاء بصنف آخر من الايمان .. يتول
تعالى :

« والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك » ..

ان كلمة « وما انزل من قبلك » لم تأت في وصف المؤمنين
الاولين .. لأن الاسلام انما جاء ليواجه صنفين من الناس :

الصنف الأول : صنف كافر بالله لا يؤمن به ولا برسول

مبلغ عن الله ، وهؤلاء كفار مكة .

ولكن .. في المدينة .. لأن السورة مدنية .. جاء صنف
آخر ..

والصنف الآخر : هم أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله
ويرسل من الله ويكتب من الله .

والايمان الاسلامى لابد ان ينتظم الاثنيىن معا .. لماذا ؟
.. ربما ظن أهل الكتاب أنهم على صلة بالله ، يؤمنون به ،
ويتلقون منه كتباً ، ويتلقون منه رسلاً .. وأن هذا يكفى ..
نقول لا .. الايمان الاسلامى جاء ليواجه المعسكرين معا حتى
يكون الدين كله لله ..

فقد شاء الله أن يبين أن الايمان جاء ليهيمن على الجميع
.. وأن الايمان بشيء والالتزام بمنهج من اله آمنه به يحقق
لك الخير ويدفع عنك الشر ، وما دام الايمان قد طلب ، فهذا
يعنى وجود شر يحاربه الايمان ، ولو لم يوجد شر ما كان
هناك ضرورة للايمان .

اذن .. فالتزام الانسان بالايمان يصل به الى أن يبقى
نفسه ويبقى عالمه من الشرور ، وحيث أن مقابل الايمان هو
الكفر فالامر الطبيعى أن يكون الكافرون هم الصنف المقابل
للمؤمنين .

اليوم الآخر والتوراة :

تقول الآية الكريمة :

« **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون** » .

لنتف عند « وبالآخرة هم يوقنون » ..

انك ان تصفحت التوراة التى هى كتاب اليهود الذين
يعاشون الاسلام فى المدينة ، ويواصلون كبرهم فى خصومة
الاسلام مع انهم كانوا يستفتحون به من قبل على الذين كفروا
.. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .

وانك ان قرأت التوراة او التلمود لن تجد شيئا عن
اليوم الآخر .. بينما اهتموا بالأمر المادى فى كتبهم ..

فكان الله أكد الايمان باليوم الآخر لان الذين يقولون
اننا آمننا بالله وآمننا بكتب منه وبرسل ، لا يلتفتون الى اليوم
الآخر ، ولو لم يجيء ذلك ربما كان هذا موافقا لما عندهم ..

ان الاسلام يريد تصورا كماليا ينتظم كل شىء من الايمان
بالله قمة ابتداء الى الايمان باليوم الآخر قمة انتهاء .

صنفان من الايمان :

لدينا صنفان من الايمان :

— « الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة »
وهذا صنف .

— « والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون » .. وهذا صنف آخر .

يريد الحق ان يصف الذين آمنوا اولاً والذين آمنوا ثانياً
فيقول تعالى : « اولئك على هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون » .

كلمة « اولئك » تعود الى من ؟ ..

تعود الى مجموعهم .. أى الى المجموعتين ، وهذا
صديق .. ولنبحث في مدى اتحاد الوصفين : وهل الوصفان
في اولئك على هدى وأولئك هم المفلحون متحدان ؟ !

نلاحظ أن الخبر مختلف . .

ففى اولئك على هدى ، نجد أن الهدى هو الدلالة
الموصلة للمطلوب .

وفي أوثك هم المفلحون .. نجد الغاية المطلوبة ..

أى هم على هدى فوصلوا الى الفلاح . .

فالمعنى الأول دلالة موصلة الى المطلوب ..

والمعنى الثانى غاية وهو الفلاح ..

وهنا نتساءل : هل الأولون لهم الدلالة فقط وليست لهم الغاية .. وهل الآخرون لهم الغاية وليست لهم الدلالة أم الاثنان لهم الدلالة بالهدى ولهم الغاية بالفلاح ؟ .

وبالطبع .. ان الاثنين لهم الدلالة بالهدى ولهم الغاية بالفلاح ..

من بلاغة القرآن :

لقد عند « أوثك على هدى من ربهم وأوثك هم المفلحون » .

فمن بلاغات القرآن ان يكون لصنف اشارة وللصنف الآخر اشارة ومن بلاغات القرآن حين يتناول أمرين كل منهما له حكمان يلقى في الأمر الاول بحكم ويترك لك استنباط الأمر المقابل له في الحكم الثانى .

تقول الآية الكريمة :

« قد كان لكم آية في فئتين التقتا » .

(آل عمران ١٣) .

وذلك عندما التقى الكفار مع المؤمنين في الحرب ، فنحن هنا بصدد فئتين :

— فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله (كان الله قال فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله) .

— وفئة أخرى كافرة تقاتل أيضا .. ولكن .. في سبيل الشيطان .

كأن توسعة الآية يمكن تصورها على هذا النحو :

(لقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة كافرة تقاتل في سبيل الشيطان) .

لم يشأ الله سبحانه وتعالى أن يكرر وترك الذهن يتوعد حين يتلقى كلام الله .. حتى يعرف عطاءات القرآن ..

يريد الله بذلك أن تتنبه الأذهان لتدبر القرآن .

(م ٢ — أعداء الإسلام)

فلم يقل « قد كان لكم آية في فئتين النقتا فئنة مؤمنة
تقاتل في سبيل الله » إذ حذف كلمة « مؤمنة » من الفئة
الاولى وقال « تقاتل في سبيل الله » لانك ستظن الى انها
هى المؤمنة مادامت تقاتل في سبيل الله وفي الفئة الاخيرة ..
حذف مقابل « في سبيل الله » وهو « في سبيل الشيطان » وجاء
بالمقابل للمحذوف وهو « كافر » .

كأننا اخذنا مؤمنة من مقابلها وهو « كافرة »

واخذنا في سبيل الله من مقابلها وهو « في سبيل
الشيطان » .

اذن حذفنا مؤمنة من الفريق الاول للدلالة عليها من
كافرة في الفريق الثانى ونفس الشيء حدث في « سبيل الله » و
« في سبيل الشيطان » . وهذا يسمى في اللغة « احتباك »
لكى يعلمنا كيف ننلقى القرآن فمثلا حين نسمع الله سبحانه
وتعالى يعلم الرسول فيقول :

« قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برىء مما تجرمون »
— هود ٣٥ —

لكن .. مادام هو افتراه فكيف يتأتى اجرامهم !! ..
ثم .. انهم لم يجرموا .

فكان الأمر أمران : إما أن اكون افتريته او لا اكون
افتريته ..

فاذا كنت افتريته فعلى اجرامى ، وانتم براء منه .

وان لم افتره فأنتم مجرمون ..

وهنا ايضا .. احتباك .

اشياء كثيرة محذوفة ليستحضرها الذهن ..

مثلا فى الآية الكريمة :

« اذهب بكتابى هذا فإلقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا

يرجعون » .

— النمل ٢٨ —

وعلى الفور كانت الآية اللاحقة :

« قالت يا ايها الملا اتى التى الى كتاب كريم » .

حيث لا لزوم للسرد ، لان العقل الوامى يقوم بالاستنباط

ايمان واحد :

في آية « الذين يؤمنون بالغييب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .
— البقرة ٣ —

ثم « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .
— البقرة ٥ —

نجد ان الله سبحانه وتعالى لحم الخبيرين معا لنعلم انه ليس هناك بعد الاسلام ايمانان .. بل هو ايمان واحد بترتب عليه جزاء واحد وميلته هدى وغايته فلاح ..

عزة المهتدى :

ولو نظرنا الى التكليفات وهى الدلالة الموصلة الى المطلوب نجد ان الله رفع المهتدى على الهدى .

اي ان الهدى اقبل ليس من اجل اذلاك وانما لكى يرفعك وظاهر الأمر ان الهدى جاء يقيد حركتك .

يقول تعالى :

« وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين » .
— سبأ ٢٤ -

انظر الى « لعلى هدى » فـ « على » تفيد الاستعلاء
كأن تقول انت على الجواد .. على الدابة .. على السطح
.. اى على تفيد العلو ، فكان المهتدى حين يلزم نفسه
بالدلالة الموصلة الى المطلوب لا يستذل للهدى ولكنه يرتفع
على الهدى ، والهدى يصبح تحت امرته في أن يوجهه الى
الخير .. لكن الضلال يفلتك .. يحبسك فيه ..

لذا .. انظر لمقابلة « لعلى هدى او في ضلال مبين » .

فالعلو في الهدى .. وان قيد حركتك فانما جاء لاعزازك
وعلوك وسمو مقامك ..

فأنت لا تأخذ من بشر تشريعا او تأخذ من ذاتك حكما
ولكنه يرتفع بك الى أن تتلقى من الله .

الضلالة الحاكمة :

وفي كلمة الضلالة قال تعالى « في ضلال مبين » ..

سببت كلمة الضلالة « في » وهى تدل على الظرفية
المحيطة ، اى ان الشيء مطروف ، وهو ما قال فيه الله سبحانه
وتعالى :

« .. واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » ..

— البقرة ٨١ —

احاطت به خطيئته لا يستطيع ان يتحمل منها لانه مطروف في الضلالة ، وما دام هو مطروفا في الضلالة فلا يمكن ان يأتى له منفذ ينفذ به عن الضلالة التى حكمته ، ومادامت حكمته هذا الحكم ، وغلغفته ذلك التغليف فلا يمكن ان يصل مطلقا الى هدى ..
المفلحون .. لماذا ؟ :

الحق سبحانه وتعالى حينما قال : « اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » — اختار لفظا عليه دليله ..
فكلمة « مفلح » فى معناها العام تعنى الفائز .. اى المعنى هو :

اولئك هم الفائزون .. فلماذا لم يقل هم الفائزون لان الفلح والفلح ماخوذ من شق ارض ومنه سمي الفلاح الذى صنعته شق الارض للبذر ..

ان ذكر الله هذه الكلمة لانه يريد ان يأتى مع الشيء دليله ، وهناك فارق بين امر يخبرك به غيبا وامر يستدل به مشهدا ..

ترتيب لا تقيد :

الله حين يأمر بأوامره يقيد حريتك .

كنت تحب ان تختار ما تحب فجاء التشريع فقال لك افعل ولا تفعل . انت تظن ان ذلك تقيد لك في حركة الحياة يضرك ويقيد عليك الجدوى لأنه أخذ منك شيئاً ، فقد أخذ حرية حركتك ، لأنه حين يقول لك افعل .. معناها أنه ضيق عليك الا تفعل .. وحين يقول لا تفعل .. ضيق عليك ان تفعل .

فحين يأمر الله بالزكاة من مالك فهذا يعنى انك غنصه قليلا في ظاهره وفي الحقيقة غير ذلك ..

فكأن الله يقول لك ان قيدت حركتك التكليفية بقولى لك افعل فلا تقدر ان تفعل ، وبقولى لك لا تفعل بحيث لا تقدر ان تفعل فلا تظن ان ذلك تقيد وانما هو ترتيب للفائدة اى تكثير لها .. لان الله حين يأمر امرا لا يأمرنى وحدى ، وانما هو يأمر المؤمنين جميعا . فحين يقول لا تسرق ، فهذا الكلام موجه لكل ، وانا هنا الرابع كفرد .. لأنه قيدنى وانا واحد وقيد من اجلى ملايين الناس .

اذن في التقييد بالتكليف ضمان للفلاح حيث يكون صاحب المغنم .. فكيف ذلك ؟ ..

كلمة فليح أيضا تؤدي معنى القلع .. والحديد بالحديد
يفلح أي يقطع وكلها معنى حركة تستدعي شق متلازم جامد
ولفتأمل الفلاح حين يشق الأرض ويرمي فيها البذر .. انه
يقوم بهذه العملية تقليداً عن آباءه الى آدم ..

لكن آدم حين فلاح الأرض قلد من ؟ وهو البداية في
الوجود ؟ .. اذن هو علم من الله كما علم الاسماء ..

ان كل شيء في الوجود اصوله معلمة من السماء لان
الله لا يخلق آدم ليباشر مهمته في الارض الا اذا علمه كيف
يزاولها .. او على الاقل علمه بداءات هذه المهمة ..

ثم .. مع تقدم القرون .. عرفنا لماذا نشق الأرض ،
فليس للفلاح عمل الا ان يحرق ويبذر فقط .

ان الفلاح لا يجمع العناصر لتعطي للنبات ، ولذلك ،
قال له ربه ما معناه اياك ان تغتر بحركتك في الحياة فتقول
انا ازرع ، كن صادقاً وكن واقعياً وقل انا احرق فقط ..

يقول تعالى :

((افرايتم ما تحرثون . انتم تزرعونه ام نحن الزارعون
لو نشاء لجعلناه حطالاً فظلمتم تفكهون)) .

— الواقعة ٦٣ — ٦٥ —

انك اذا بللت شيئاً من الحبوب تنمو وتخرج لها مادة خضرية من نفس تكوينها ، وعلى قدر كمية الغذاء يكون حجم الحبة ، وعندما تصادف ارضا محروثة ثم نروبيها ونعطيها الرطوبة ، تبدأ في تغذية نفسها الى ان يخرج زباناها .. وعندما يأخذ « الزباني » الغذاء من الارض تصبح الفلقتان اللتان تولتا مهمة الغذاء ورقتين .. في الهواء ..

لو لم يوجد في الارض هواء لتتنفس الحبة حتى تخرج الزباني لانكمت وما خرجت .. اذن هذه عملية الفلاحة .. فلماذا قال الله سبحانه وتعالى المفلحون ؟ ..

لكي يعطى لنا الامر الغيبي في الآخرة ..

فالتكليف يضيق عليك والله يعلمك ان التكليف يوسع عليك لأنه ان ضيق عليك في الفانية فسيعطيك في الباقية .

وما اوضح مثل الفلاح .. فالارض التي تبذر فيها بذرة لا تعطيك بذرة واحدة .. بل انك تحصل على سبعمائة حبة ..

واذا كانت الارض وهي المخلوقة تعطيك اضعاف ما تعطيتها فكيف بالخالق ؟ ..

الا يعطيك اضعاف ما اعطيته له ؟ ..

هذا هو السبب في أن الحق سبحانه وتعالى يقول :

« **اولئك هم المفلحون** » .. ليفتني بمادة الفلاحة
الى شىء موجود بالفعل ..

اذن فان اخذ التكليف منك شيئاً فانما جاء ليعطيك
اشياء فلا تقل ان الارض اخذت منك حبة ، ولكن قل اخذت
منى الآن حبة لتعطينى بعد ذلك سبعمائة حبة ..

الكفار المعاندون :

الكافرون قسمان :

— قسم كفر بالله أولاً ثم استمع الى الوحي واستمع
منهاجا جديدا فابتدا يلتفت الى ذلك بفطرته .

— وقسم آخر كابر وعاند ، ولنعلم ابتداء أن غير المعاند
ليس له حظ في الكفر ، ولكن الذى له حظ في الكفر هو المستفيد
من الكفر ، والذى يأتى الايمان ليعطل عنه هذه الفائدة .

أى أن الذى يقف ضد الايمان هم المستفيدون من الكفر
وهم الذين حاربوا الايمان ، لكن الذين كانوا كفارا ثم سمعوا
بأله يأمر بالرحمة والعدل والمساواة ، فماذا يتمتعهم من
الايمان !! ..

معنى الكفر واسبقية الايمان :

ان من يلج في الكفر انما هو المنتفع به ، ولو لم يوجد
منتفع بالكفر ، لما تأصل الكفر في الناس ..

والكفر معناه الستر ..

لفظ الكفر مؤمن .. لأن كفر أى ستر ..

كفر بالله أى ستر وجود الله ..

ولأن الستر طارئ على الوجود فالأصل اذن
هو الايمان ، أى ان كلمة كفر نفسها فضحت الكافرين
لانه لا يقال كفر الا اذا كان هناك شىء موجود ثم سترناه ،
فكأن الايمان هو الأصل الفطرى ثم طرا الساتر من الكفر
لغفلة الناس .. لأن الايمان يضيق على ذى السلطان
واصحاب الاستعلاء والسيطرة ، والاستغلال ، فابتدأوا
يسترون الاله والايمان ..

اذن .. فاللفظ في ذاته يدك على ان الايمان اسبق ،
وتلك قضية منطقية لأن الخلق الأول — وهو آدم — الذى
خلقه الله بيديه ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة واتاه
المنهج .. كل ذلك امر مشهدى أى ان الكفر لم يكن قد جاء ..
وكان يداعب آدم بواسطة ابليس ..

والمفروض ان آدم كان يلحق اولاده بما يعرف ، ويمرو
الزمن حدثت الغفلة ، ووجد الكثير من الناس ان الايمان يقيد
حركتهم ، فابتدأوا الكفر . . لكن العاقل حين يسمع كلمة
كفر يجب ان يتنبه ، فلا يشارك من ستر موجودا . . ولهذا
نبههم الله وسألهم كيف يكفرون به ؟ . . وهم لن يستطيعوا
الجواب الا بقولهم : « اننا سترناك يا رب » . . وهذا
ايمان . .

اذن . . في الآية الكريمة :

« كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم » .

(البقرة : ٢٨)

في هذه الآية عين الاستدلال على الايمان . .

ونظرا لان الله سخر للانسان ما في الارض جميعا ،
واستجابت له طبائع الأشياء حيث يفعل في كذا فينفعل له ،
وبمرور الزمن ظن ان له اصالة وسيطرة على الكائنات ،
ولذلك عاش وفي ذهنه قوة الأسباب ، وهو فاعلها فلم يلتفت
الى المسبب الحقيقي ، وهذه تلميحها في قول الله سبحانه
وتعالى :

« كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » .

غرور الذاتية :

حين يستغنى الانسان يظن ان الاشياء منفوعة له ذاته ، اذن فالذى يتعب الكون هو استيقاظ النفس نحو انتها ..

انك لو ادركت معنى الشيء الذاتى - وهو ما كان بذاتك لا بغيرك ولا يتخلف ابدا - فالامر الذى بالذات لا يتخلف ، اما الامر الذى بالغير فهو الذى يتخلف ..

لو نظرت لمعنى الكلمة التى غرتك تجد انها مهدومة بالنسبة لك لانها معناها انك قائم بذاتك ، وانت شاهدت نفسك لا ذاتية لك .. انت متغير ومحتاج لمعونة ابيك وامك التى تحملك وترعاك وتطعمك .. اذن .. الذاتية ممتعة اصالة فى ابتدائك .. واذا ما اخذت شيئا يطغىك بان لك ذاتية ، وبلغت رشدك واصبحت الاشياء تستجيب لك ، واصبحت تعين بعد ان كنت تعان ، فانظر الفترة الآتية فى مقابلك .. وهو انك ستصير الى طفولة اخرى لكى لا يعلم من بعد علم شيئا ، وتحتاج الى من يأخذ بيدك ويجلسك يطعمك ..

اذن .. فانعدام الذاتية كما بدأت به تنتهى اليه .

وايضا همب انك فى قوتك وقدرتك ، فالذاتية ممتنعة
لان حدوث مرض فى شبابك او نحو ذلك يعنى انه انتهت
الذاتية تماما واصبح لا حول لك ولا قوة ..

ان الله يمرض شابا او يميت شابا لكى تنذك عقيدة
الانسان فى ذاتيته ، وهذا يودى الى ذكر افتقاره الى سواه ،
ومادم ان غيره سيفتقر الى الله ايضا ..

عندئذ يعلم الجميع انهم مفتقرون الى غير مفتقر الى احد
وهو الله سبحانه وتعالى ..

ان الكافر يريد ان يحافظ على ذاتيته ، وتلك نظرة
حق ..

والمؤمن ايضا يريد ان يحافظ على ذاتيته الوكيلة
عن الاصلية — وليس على ذاتيته الاصلية — وتلك نظرة
حق ..

ومادم الاثنان يبحثان عن ذاتيتهم فلا بد انهم متقابلان
فى الوجود ..

اصناف الكافرين :

ان الحق سبحانه وتعالى تكلم فى سورة البقرة عن ثلاثة
اصناف من الكافرين :

صنف آمن : وقد عالجه في ثلاث آيات ..

وصنف كفر : وقد عالجه امره في آيتين .

وبقى صنف ثالث هو تكملة التقسيم الطبيعي ، لمواجهة
أى دعوة حق ، فدعوة الحق دائما لا تنزل من السماء الا عند
شراسة الباطل ..

وجاء الاسلام عندما كان الباطل في منتهى شرارته ،
لان الباطل حين يشند في الشراسة يتم الاعتماد على بعض
البيئة ليعدل ميزان هذه الشراسة ، بمعنى ان يوجد قوم
يبطلون ويوجد في نفس الوقت قوم يعدلون هؤلاء المبطلين
الى منهج الحق ، وتلك هي مرتبة ثانية في علاج آفات
المجتمعات ..

المجتمعات الثلاثة :

تنقسم المجتمعات الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : مجتمع يعصى الفرد فيه بنفسه الأمانة
بالسوء ثم تستيقظ نفسه المطمئنة او اللوامة لتلوم عليه
تصرفه مع نفسه الأمانة بالسوء وحينئذ يوجد في الانسان
لونان :

لون أمار .. ولون لوام ..

وذلك المجتمع فيه خميرة الاطمئنان الى استبقاء الخير
في ذات الناس ، ولكن .. قد يوجد في الناس نفوس غير لوامة
فيأتي القوم الآخرون من اصحاب النفوس اللوامة ليلوموا
غيرهم على تصرفهم ..

اذن في هذا القسم يكون اللوم من النفس للنفس ..

تستيقظ النفس اللوامة على النفس الأمانة فتعدل
مزاجها ، انها مواجهة النفس للنفس بدون تدخل من المجتمع
الخارجي ..

والقسم الثاني : ما يضمه المجتمع من نفوس امانة
بالسوء دائما لا لوامة فيها فيأتي قوم يستبقينهم الله لاستبقاء
عنصر الخير ليوجهوا الناس الى اخر ..

القسم الثالث : وهو الطاقة الكبرى في المجتمعات يعم
فيه الباطل كل الناس فلا تجد الا النفوس الأمانة ، ولا تجد
نفسا لوامة وحينئذ يتدخل منهج السماء لان البشر لم يستطيعوا
ان يقيموا اعوجاج البشر .

ان السماء لا تتدخل الا حين يكون الباطل شرسا ..

وحيث يكون الباطل في شراسة ، ويأتى الحق لا تظنوا
أن الباطل يستسلم للحق ، فإنه يحاول أن يستبقى لنفسه
الشراسة ، وفي هذا الوقت يواجه الحق بقوى إما سافرة
العداء أو مستخفية العداء .

سيفا النفاق :

النفوس البشرية تحب أن تكون قوية ، ولكن حبها للقوة
في ذاتها يختلف ، فنفوس ترى أنها تقوى على سواها ، ونفوس
أخرى ترى أنها قبل أن تقوى على سواها يجب أن تقوى
على نفسها .

وثمة نفوس أخرى لا تقوى على نفسها ولا تقوى
على سواها . . أما المؤمن . . فهو قوى على نفسه يلزمها
بمنهج الله ، وقوى على مواجهة شراسة الباطل ، ففيه قوة
داخلية ضد نفسه الأمارة ، وفيه قوة ضد شراسة الباطل ،
وهكذا تجتمع للمؤمن القوتان ولكن الكافر تجتمع له قوة
واحدة ، فهو لم يقو على نفسه ليحملها على منهج الله .
وان قوى على دعوة الباطل ليواجهها .

وهناك صنف آخر لا يقوى على نفسه ولا يقوى
على دعوة الحق ليواجهها . .

إن هذا الصنف معزول القوتين ، وهؤلاء هم

المنافقون .. فالمنافق لم يقو على نفسه ولذلك لم يستطع ان يقبل دعوة الحق لان نفسه شرسة راضها الباطل رياضة عنيفة فلم يقو هو على ان يكبح جماحها من النيل من الباطل .

وليت المنافق كان قويا على دعاء الحق ليواجههم بل اشفق وخاف منهم فاعلن الايمان بالحق ظاهرا لانه لا قوة له على مواجهة هذا الحق وايضا لا قوة له على مقاومة نفسه والقدرة عليها ليؤمن بهذا الحق .

وهؤلاء المنافقون هم اخطر القسمين ..

اخطر من الكافرين لان الكافر عاند بصراحة وبكل وضوح ، وجعل القوة الخفية تقف امامه وقوفا ظاهرا غير مستور .

ولكن المنافق الذى نافق القوة الخفية قد ادعى ، وليته يدعى انه معها فقط ، لكنه في الباطل عليها . فكأنه حارب الحق من وجهين : الوجه الاول انه جعل الحق يعتبره سيفا معه ، ومن ناحية عدم اقتناعه وايمانه سل سيفا آخر على الحق ..

لقد سل سيفين ، سيف ايجابى وآخر سلبى ..

وكمثال على ذلك : اذا واجهك خصم ومعه سيف

ومعك سيف ثم أخذت منه أنت السيف ، لا يقال أنه نقص سيفا وإنما يقال أنه نقص سيفين ، لأنك أصبحت ذا سيفين وهو بلا سيف .

اذن .. فتوة النفاق لشراستها هذه وعملها في الظلام وفي الجهات المضية كانت أخطر على الإسلام من قوة الكفر .

لذلك تجد ان الحق سبحانه وتعالى حين عالج المؤمنين بثلاث آيات وعالج الكفار في آيتين عالج مسألة النفاق في ثلاث عشرة آية لأن مظاهر هذا النفاق متعددة ..

ان حقيقة النفاق ملونة فلا هي قوية شجاعة تجاهر في معارضة الحق ولا هي قوة راضت نفسها على ان تؤمن بالحق ..

اذن فقد أخذت الأمر من جهتين .

معركة الايمان :

الله سبحانه وتعالى يعلمنا ان المؤمن حين يكون مؤمنا بربه يجب ان يخوض معركة الايمان لا على انه وحده بل يجب ان يخوض معركة الايمان مع الكفر ومعركة الحق مع الباطل على انه مسنود من اله قوى لا يمكن ان ينتصر عليه احد ابدا

مادام المؤمن في معية منهجه ، واذا تخلى المؤمن عن معية منهجه فليكن الخسار عليه .. فتكون قوة بشر لبشر .. ولذلك كانت حياته صلى الله عليه وسلم متن الدعوة الاسلامية ، اى ان كل جزئية ستحدث للاسلام الى ان تقوم الساعة جاءت في تاريخه صلى الله عليه وسلم وشاء الله ان يعلم المسلمين على يدى محمد بن عبد الله في حياته .

اهد هزيمة ام انتصر !!

في غزوة احد مثلا .. انهزم المسلمون ..

في ظاهر الامر ان المسلمين انهزموا ، ولكن في حقيقته ان الذى انهزم هم المسلمون المتخاذلون عن منهج الاسلام ..

اما الاسلام فانتصر لان الهزيمة مخالفة اوامر رسول الله .. فلو انهم انتصروا مع مخالفة الرسول ماذا يكون الموقف بعد ذلك .. ان الله يقول لهم .. خالفتموه فانهزمتم ، خالفتموه فانكسرتم ..

وهكذا يستبقى مهابة توجيه رسول الله في نفوس المؤمنين ..

تضاييا قرآنية :

ان الحق حين يطلق تضاييا قرآنية مقروءة ، وتضاييا

قرآنية مكتوبة ، وقضايا قرآنية تكرر في العبادة وهي الصلاة
وتقرا على الناس ويحفظها الله ..

هذه القضايا لا يمكن أن يطلقها الله وفي كونه واقع
يصادمها .. فلو أطلق الله سبحانه وتعالى قضية من القضايا
ثم جاء واقع لأمر فعاند هذه القضايا لهان أمر الإسلام
في نفوس المؤمنين .

فحين يقول الحق : « وان جنودنا لهم الغالبون » .

(الصافات : ١٧٣)

تكون قضية قرآنية لا بد أن تأتي قضايا الكون الواقعية
موافقة لها ومادام الله قد قال ذلك فانظر أى معركة لجنود
الإسلام مع أعدائهم فان انتصروا فاعلم أنهم كانوا جند الله ..

وان انهزموا فاعلم ان قول الله : « وان جنودنا لهم

الغالبون » صادق وانهم تخلوا في المعركة عن جنديتهم لله ،
ولذلك انهزموا .

والامر واضح فان المؤمن حين يواجه شراسة الباطل
يجب أن يضع امام عينيه انه لا يواجهها وحده ، ولكن يفعل
ويستعين بالله ، والاستعانة معناها أن فاعلا يفعل ويستعين ،
ولذلك يقول الحق في الممكنين في الأرض :

« اتا مكننا له فى الأرض وآتيناها من كل شىء سببا »
(الكهف : ٨٤)

فهل اقتصر على ما آتاه الله من أسباب .. لا ..
تقول الآية التالية :

« فاتبع سببا » ..

أى انشأ أيضا أسبابا ..

وانظر الى الحال عندما ذهب الاسلام الى المدينة
وظاهرة النفاق بها .

النفاق ظاهرة صحية :

وظاهرة النفاق فى الاسلام ظاهرة صحية ايمانية ..
لان الاسلام لم ينشأ فيه النفاق فى مكة ، لان الذى ينافق فيه
هو القوى والاسلام فى مكة كان ضعيفا لم يستطع المؤمنون
الأولون ان يحموا انفسهم ، فلماذا ينافقهم غيرهم ..

ولما ذهب الاسلام الى المدينة كان ولا بد ان تظهر ظاهرة
النفاق وخاصة من القوم الذين كانت لهم سيادة فى المدينة ،
هذه السيادة حددتها هجرته صلى الله عليه وسلم ، نبعد

ان كان هناك سيادة مرتقبة « لابن سلول » عدل عنها
وانصرف الامر كله الى محمد بن عبد الله المهاجر النبي
الجديد .. اذن هذه ستؤثر في نفوس من كانوا ينتظرون
السيادة ، ومن كانوا ينظمون لهم الخرز ليحطوهم في تاجهم
حين يبايعونه ملكا في المدينة ، اننى اظن ان هذا هو اول
من يحقد على مدخل رسول الله في المدينة ، ولهذا الرجل
اذنابه واتباعه ..

وايضا فان مجيء رسول الله الى المدينة يهدد قوة اخرى
كانت لهم السيطرة العلمية لانهم اهل كتاب ، وبقية العرب
ليسوا اهل كتاب فكانوا يدللون على هؤلاء بانهم اهل العلم
والبصر والمعونة ، وكانت ايضا لهم السيادة الاقتصادية ،
لانهم اصحاب اموال ، وهم الذين يؤججون العداوة بين الأوس
والخزرج ، وكانوا ينتفعون من ذلك كله .

فحين جاء الاسلام وسمى هؤلاء المتنازعين دائما الأوس
والخزرج باسم « الأنصار » ثم التحموا مع اخواتهم
المهاجرين .. عندئذ .. سقطت الورقة من يد اليهود ..

من يرث المنافقين :

اذن فالاسلام ووجه بمعسكرين قويين :

— معسكر المنافقين ومعسكر اليهود ..

وحيثما يعالج القرآن قضية النفاق لا ينسى أبداً أن يذكر
في قضية المنافقين من يورث هذا النفاق في صدور المنافقين ..
ولذلك في سورة البقرة تقول الآية :

« **وإذا خلوا الى شياطينهم** » ..

اي اذا خلى المنافقون الى شياطينهم ..

وكلمة الشيطان توحى بالعدو الخفى الذى لا تراه العين
ولكن يزيد الشر والفساد ..

يستتر اليهود فى كلمة شياطينهم .

يستترهم لانهم هم الذين سيورثون المنافقين ..

وهم الذين سيدبرون لهم .

وهم الذين سيلقون الحطب لتشتعل نار النفاق ضد
الاسلام .

شهادة المنافقين :

حين يمرض الله قضية النفاق .. يشرح لنا عمليا كيف

ان المنافقين ارادوا أن يحموا أنفسهم من قوة الاسلام ..
لأنهم لا يجراون على مواجهته مواجهة الكافرين ..

فماذا يصنعون ؟ ..

يعلمون كلمة الاسلام بلسانهم ..

وكلمة الاسلام حين تعلن باللسان تعطى صاحبها حقوق
المسلمين جميعا .. وتعطى لهم حقوق المسلمين مع علم
المسلمين بأنهم منافقون ..

• اى احترام الاعلان بالاسلام وان كان القلب غير مصدق .

ان الكلمة حين يقولها اللسان لابد أن توأطىء القصد ،
ولذلك اذا قرأت القرآن في قوله سبحانه وتعالى :

« اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله »
(المنافقون : ١)

هل في هذا شك ؟ .. لقد قالوا .. أنك لرسول الله ..
وهذا صدق .. وبعد ذلك يقول تعالى : « والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون » .

اذن الله وانقهم اولا فيما قالوه حيث وافق قولهم معلوم

الله ، لكنه حكم عليهم بعد ذلك بأنهم كاذبون .. لكن كاذبون في ماذا ؟ .. كذب المنافقون لا في « أنك لرسول الله » فهي كلمة صادقة ، لكن كذبوا في قولهم : « نشهد » لأن الشهادة يجب أن يواطء اللسان فيها القلب .

اذن فالقضية المشهود بها مصدقة عند الله وهي انه « رسول الله » لكن كلمة « نشهد » فيها مناط التكذيب حتى لا يتصيد أحد في أساليب القرآن ويقول ان هناك تعارضا في الآية الواحدة .. نقول .. لو فطنت الى ان الله قال في الكذب « يشهد » وقال في الأخرى يعلم لفهمت ان الشهادة من الله رد على الشهادة من الأولين .. اذن .. ففرق بين القول وبين مقول القول .

الشهادة شيء ، وقولهم أنك لرسول الله شيء آخر :

ثم .. من الذي يفضل شهادتهم على شهادة الله !! ..

اذن .. الحق سبحانه وتعالى يعرض المسألة بان الاسلام احترم اعلانهم بأنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مع انه يعلم بأنهم كانوا يسخرون .

حكاية راسي النفاق :

واظنكم جميعا تقرؤون حكاية « ابن سلول » حينما رأى

أبا بكر رضى الله عنه وعمرا رضى الله عنه وعليهما رضى الله عنه ، فقال لآخوانه من المنافقين .. انظروا كيف التقى بهؤلاء السفهاء ..

وكلمة هؤلاء السفهاء سنقف عندها بعد قليل ..

بعد ذلك ناقض كلام « ابن سلول » نفسه ونعله ..
لانه أقبل على أبى بكر فقال :

مرحبا بسيد تيم ، مرحبا بالصديق ، مرحبا بشيخ
الاسلام ، مرحبا بثنائى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الفجار .

مرحبا بباذل ماله ونفسه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والتفت ابن سلول الى عمر وقال :

مرحبا بسيد بنى عدى .

مرحبا بالفاروق ..

مرحبا بباذل ماله ونفسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ثم التفت الى على فقال :

مرحبا بصهر رسول الله ..

مرحبا بابن عم رسول الله ..

مرحبا بسيد بنى هاشم ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ترى .. هل هناك لطف في القول احسن من هذا ؟ ..

تذكروا ماذا قال ابن سلول لقومه من قبل ..

انظروا كيف التقى مع هؤلاء السفهاء — كما وصفهم من قبل — .

فهل هؤلاء من السفهاء وقد وصفهم بسيد بنى تيم وسيد بنى عدى .. وكيف ينطبق قول ابن سلول الاول مع قوله الثانى ..

اذن كان يجب على المنافقين الذين قال لهم ذلك ان يردوا عليه ذلك الخرف ..

ورغم ما يعلمه رسول الله من هذا .. انظروا الى سماحة الاسلام ونبي الاسلام :

يأتى ابن سلول ، فيموت ، فيذهب رسول الله فيصلى عليه ، ويقف عمر بجراته ويقول :

اتصلى على راس النفاق يا رسول الله ؟ ..

وينفعل عمر .. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصر على الصلاة ويقول :

ان الله خيرنى ان استغفر له او لا استغفر له ووالله لو علمت انى لو استغفرت له اكثر من سبعين لغفر الله له لفعلت ..

ويحترم الحق غيرة عمر ويأتى ليحسم الامر حتى يعذر رسول الله فى رحمته على هؤلاء فيقول الله تعالى :

« ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » .
(التوبة : ٨٤)

فاذا امتنع رسول الله فسيكون امتناعه لتوجه الأمر ،
اما ما بقى الأمر فى يد رسول الله فان رسول الله يفعل
ما تقتضيه رحمته على العالمين ..

رحمة للعالمين :

ان الله تعالى قال :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

(الانبياء : ١٠٧)

هنا .. امتد مظهر رحمته حتى الى المنافقين لأن رسول الله كان اذا خير في امر اختار ايسره على امته ليصدق فيه قول الله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ..

وبعد ذلك تاتي رحمته لامته ، لتتسع حتى ان الحق سبحانه وتعالى لما رأى حبه لامته وحرصه على خيرها قال يا محمد لو شئت جعلت امر امتك اليك ، فهل هناك افضل من ذلك ؟؟ ..

انظروا الى نطنة النبوة المحمدية ..

هل قال : وانا آخذ امر امتى الى .. لا .. فمن رحمته ايضا انه قال لربه لا يا ربى انت ارحم بهم منى ..

وحيثية هذا انه اخ للمؤمنين لكن الله رب لهم ..

فهل رحمة الأخ تساوى رحمة الرب !! ..

ان الرسول الكريم استبقى أمر أمته بيد الله باعتبار
أن الرسول الكريم من الأغيار .. متغير .. قد يتغير ..
لأنه حادث ، وكل حادث يتغير لكن الله غير متغير وستظل
رحمته بأمته دائمة ..

فماذا قال له الله بعد أن تلقى من رسول الله تلك العظيمة
المحمدية :

يقول الله له : « **إِنِّي لَا أَخْزِيكَ بِهِمْ أَبَدًا** » .

وكلمة اذن هذه تدل على أن معنى قول الله أنه ما دمت
قد فطنت الى أنني أرحم بهم منك فأنا لا أضيعهم من أجلك
أيضا ..

بين القول والشهادة :

هذا هو الرسول في معاملته للمنافقين ..

عاملهم هذه المعاملة احتراماً لما اظهروه من كلمة
الاسلام ..

ومع ذلك يظل المنافقون في حربهم لنبي الاسلام
وللاسلام ..

يعرض الله هذه الحقيقة في ١٣ آية لو قرأت كل آية
منهم تجد خصلة من خصال النفاق تظل موجودة في المنافقين
الى ان تقوم الساعة .

**« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم
بمؤمنين »** . (البقرة : ٨)

تقول الآية .. من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
وليس « واليوم » انظروا الى دقة الأداء ..

جعل الله لهم متعلقا جديدا ، فكأن هذا له ايمان بداية
وذاك له ايمان النهاية .

اي اخذوا الايمان بين قوسين ايمان الابتداء وهو الايمان
بالله وايمان الانتهاء وهو الايمان باليوم الآخر ..

انظروا .. ماذا قالوا .. القياس في الرد ان يقول
الحق :

**« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
وما آمنوا »** ..

ولكن لدقة العبارة قال تعالى : وما هم بمؤمنين : ليدل على أن الأمر وصف لازم لا حدث متغير ..

أيضا تقول الآية :

• « ومن الناس من يقول »

ولم تقل « من الناس من يشهد » ..

لأن القول هنا باللسان .. والله سبحانه وتعالى هو الذي يعرف .

« لو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم وتعرفنهم في احن القول والله يعلم اعمالكم »
• (محمد : ٣٠)

امارات النفاق :

لقد اطلعنا رسول الله واعطانا الامارات الدالة حتى نقيس تصرف المتصرف على ضوئها — فهي المعيار — قال :

« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد اخاف واذا اؤتمن خان » .

اذن هذه مقاييس لكل امة محمد ..

(م ٤ — اعداء الاسلام !)

حين يكذب انسان فما معنى ذلك ؟ ..

أولا نتعرف على النسب التي يتكلم بها الانسان ..

هناك نسب كلامية هي التي تسمعا ، وقبل أن تكون نسبة كلامية تخرج من الفم توجد نسبة ذهنية قبل أن تتكلم .

لكن النسبة الذهنية هل لها واقع قبل أن توجد في ذهنك ؟ ..

انا اريد ان اقول محمد مجتهد ، وقبل أن تسمع مني « محمد مجتهد » دار في ذهني شيء اسمه محمد وشيء اسمه اجتهاد ونسبت الاجتهاد في ذهني ثم قلته .

اذن قبل ان تأتى هذه النسبة هل كان هناك واقع واحد اسمه محمد مجتهد .. نقول نعم ..

اذن الصدق هو ان تتطابق النسبة الكلامية الصادرة بعد النسبة الذهنية مع الواقع الذي سبقها ، وهذا يكون اسمه صدق .

فان كانت النسبة الكلامية التي صدرت بعد النسبة الذهنية لا واقع لها قبلها يكون هذا هو الكذب ..

والكذب يلتقى مع النفاق لأنه لم يشاهد إلا اله إلا الله
وقال بلسانه لا اله إلا الله ، لا يوجد واقع رصيدى لكلامه

اذن هذا كذب وهذه علامة .. فالكذاب اذن منافق .

ثم .. اذا وعد اخلف .. فما معنى وعد ..

اذا استعملت كلمة وعد تكون للخير ، اما اوعد فللشر ،
ومعنى الجملة وعد بخير اى تكلم كلمة بخير ثم اخلف وعده ..

والاخلاف نوعان : أحدهما أن يخلف الانسان دون
تصد ، وهذا النوع كان يحميه من الاخلاف أن يقول :
« ان شاء الله » بعد أن يعد .

ثم .. واذا أوتمن خان .. معنى أوتمن اى جعله محل
الأمانة .. والأمانة شىء تدعه عن انسان آخر ولا صدك لك
عليه الا ذمته ، فبدون ائصال او كميالة او غير ذلك نكون
البينة عليه هى ذمته .. وقبول الأمانة معناه ان الذى قبلها
ارتضى ان يردها ساعة طلبها ..

وبعد ذلك حين تطلب الأمانة ولا يردها نكون بصدد
لونين : لون يناقض لونا ، فكأن الرسول يقول لنا : « ان كان
الله قد اطلعنى حياتى على المنافقين فلا تكونوا انتم فى نيه

من معرفة المنافقين .. آياتهم كذا وكذا ، فاذا استقرات
ان انسانا يكذب اذا حدث ويخلف اذا وعد ويختان اذا اؤتمن
فاعلم انه من المنافقين » .

يخادعون من ؟

قلنا ان النفاق في ظاهره ضعف لان هناك غارق
في ان تنافق في امر لا يتعلق بالدين ..

افرض ان امة غير متدينة ومليئة بالمنافقين الذين ينافقون
من هم في السلطة او غيرهم فنقول ان هؤلاء معذورون في أنهم
ينافقون امثالهم ..

لكن الذى ينافق من هو اعلى منه .. ينافق الذى
يفضح نفاقه .. فهو ينافق نفاقا يفضحه ولا يعود عليه
بالخير ..

يقول تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون
الا انفسهم » . (البقرة : ٩)

لهؤلاء المنافقون لا يخادعون الذين آمنوا منفصلين
عن الله ، وانما يخادعون الله ..

وما معنى الخداع ؟ .. الخداع اخفاء شئ ومنه

المخدع .. أى الموضع الذى تمام فيه ، وحين تخفى شيئا عن انسان مثلك من الجائز أن يجوز عليه الإخفاء ، لكن أن تخفى على من لا تخفى عليه خافية تكون أنت قد خدعت نفسك .. لأنك وقعت فيمن كشفك ، وإذا كنت تريد أن تخفى ويريد الله أن يخفى ، اخفاء الله يصبح فى مقدوره ، كما أن اخفائك يصبح فى مقدور الله . أن يكون فتكون أنت الخاسر .

لم يقل الله : « ويخادعون الذين آمنوا » لم يكرر الفعل حتى لا يتصور أحد أن هناك حالتين من الخداع .. قد يكون خداعهم بشر لبشر ، فنقول لا .. لا تفصل المؤمنين عن رب المؤمنين .. لأنهم التزموا بمنهج من آمنوا به ، إذن لن ينفصلوا عن الله ..

إذن لا تقل أنى أخادع المؤمنين وأخادع الله ، بل قل أنا أخادع الله والمؤمنين معا لأن الملتمح بالله الذى يجرى عليه هو قانون الله .. الم يقل الله تعالى :

« ان الذين يبائعونك انما يبائعون الله يد الله فوق ايديهم » . (الفتح : ١٠)

قال تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا » دون تكرار الفعل حتى لا يظن ظان أنهم تمد ينجحون فى صفقة من الخادعة .. فهم لن ينجحوا .. وان خداعهم يعود وبالا عليهم ..

ماهية الشعور والعلم والعقل :

يقول الله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا
وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون » ..

فما معنى « ما يشعرون » ؟ ولماذا مرة يعقلون واخرى
يعلمون ... الخ .

- . الشعور وسيلة من وسائل الادراك .
- . والعلم وسيلة من وسائل الادراك .
- . والعقل وسيلة من وسائل الادراك .

والشعور هو ان تدرك بأحد الحواس .. تدرك
للمحسّات ..

اما العلم فما ينشأ عن ذلك من المعقولات ..

اما العقل فهو لما ينشأ من توليد شيء من شيء أى ما كان
معدوما فولد منه العقل موجودا ..

وبتوضيح أكثر نقول ان كل انسان منا يشعر ويدرك ،

لكن ليس كل انسان منا يعلم ، لأن العلم يعطيك تضايا
لم تدركها انت وادركها سواك ..

أما كلمة « يعقلون » فهي خصوصية الخصوصية .

فالقمة هو الذى يعقل ، ومن تحتهم يعلمون ما يفعله
الغير ..

ولذلك تجد كلمات يعقلون ويعلمون ويشعرون ..
لكل واحدة منها موقف ، فمن يريد ان يبالغ في أنهم لا يعرفون
شيئا يقول لا يشعرون اى حتى الحس لا يشعرون به .

ثم بعد ذلك لا يعقلون اى قد يعلمون ما عقله الغير
وبالتالى يمكن ان يعلموا وان يشعروا ..

أما ساعة يقول تعالى : « لا يشعرون » اى لا شىء
على الاطلاق ..

وساعد يقول : « لا يعلمون » نكون في المنتصف لانه
من الجائز الا يعقل لكنه يعلم معقول الغير ..

انسجام الملكات وتعارضها :

خلق الله الانسان بملكات متعددة فله اذن تسمع ، وعين
ترى ، ولسان يتكلم وفكر يعقل وقلب يعتقد .

والإنسان المستوى كما يريد خالقه لابد ان يصنع
تعاوننا سلاميا مع هذه الملكات .

فالؤمن وضع ذلك السلام لأنه اعتقد بقلبه واقر بلسانه
بما اعتقد به فلا تنازع في ملكاته ابدا ..

والكافر ايضا لا تنازع في ملكاته ، لانه لا يعتقد واعلن
انه لا يعتقد اذن ففيه سلام مع نفسه ، ولكنه فقد السلام
مع شيء آخر وهو السلام مع مجتمعه الذي يعيش فيه ومع
ربه الذي خلقه بدءا واليه يعود نهاية ، وهو ان حقق لنفسه
السلام ، فقد حققه في فترة وجيزة من الفترات التي تدر الله
له ان يعيشها ، فاذا ما صنع لنفسه سلاما بين ملكة لسانه
وقوله وبين ملكة قلبه ومعتقده فان ذلك امر موقوت فقط ،
ولكنه سينتهي الى امد زمني آخر يرى فيه انه لا سلام حتى
بينه وبين نفسه لان نفسه ستنتقد عليه في الآخرة : يقول
تعالى :

« وقالوا لجأودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون » .

— فصلا ٢١ —

فحتى جلودهم انتقدت عليهم ، اذن فالسلام الذي كانوا
يظنون انهم صنعوه لنفوسهم تبين انه سلام باطل يوم تشهد

عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم فالكافر وان تحقق له السلام
فترة وجيزة من الزمن فسيفقد هذا السلام يوما ما وتتنازع
امامه ملكات نفسه فيشهد عليه اللسان والايدي والازجل
والجاد فماذا بقى له ..

لكن المؤمن اخذ السلام من كل اطرافه .. سلام مع
نفسه فلا تعارض بين قال وبين ما اعتقد ولا تعارض بين
ما رأى وبين ما تيقن ..

ان المؤمن سلام حقق كل عناصر السلام فبينه وبين
نفسه فلا تعارض بين ما قال وبين ما اعتقد ولا تعارض بين
ربه لا تناقض . وكذلك لا تناقض بين دنياه وآخرته .

اما المنافق فقد تذبذب وتأرجح واصبح مضطرب الملاكات
يقول باسائه ما ليس في قلبه .. يقول له لا تفسد يقول لا
انا مفلح ..

« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزعون » .

ما هذا التناقض في النفس البشرية .. بالله كيف
يرتاحون ؟ ..

لهذا .. في كل الآيات التي تعرضت لهؤلاء نجد طابع
التناقض والتذبذب والتأرجح فاشيا فيها ..

« في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » .

وان كانوا يعيشون مرضا ولا ينتظرون عافية بل ينتظرون ان يزيدوا مرضا وتمزقا في النفس . . ثم تقول الآية الكريمة :

« واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » .

هنا . . تناقض مركب . . لأننا قلنا ان الفساد في الأرض هو ان تعبد الى الصالح في ذاته فتفسده ، وقصارى ما يطلب منك ان تدع الصالح صالحا فلا تتدخل فيه ، وان شئت ان ترتقى طموحيا في اليقين فزد في صلاح الصالح .

ان الحق سبحانه وتعالى اصلح لك مقومات الحياة الحقيقية فان أردت ان ترتقى في الكون باصلاح اكثر فريد الله ان يكون ذلك .

« آتيناها من كل شيء سببا ، فاتبع سببا » . .

لماذا ؟ . . لانه اذا ما هو استقبال النعمة الممنوحة له تعودت نفسه الكسل . . فريد الله سبحانه وتعالى ان ينمى في الانسان طاقة الجهد وطاقة العمل ، فترك لك أشياء ان أردت الارتقاء فافعل في وجود المقومات الضرورية للحياة .

« آتيناہ من كل شيء سببا فاتبع ... » ..

« واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض » ليتهم قالوا لم نفسد بل انهم تعدوا مرحلة انهم لم يفسدوا فكذبوا .. وقالوا « انما نحن مصلحون » .. « ألا انهم هم المفسدون » ..

المنافقون والسفهاء :

يتول نعالى :

« واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » ..

السفه حيق وهو يعنى الخسة فى تناول الامور .

— لكن من هو السفهيه ؟

— الذى يؤمن بربه ام الذى لا يؤمن !!

اذن .. اذا كنتم تعتقدون انهم هم السفهاء فلماذا تدعون لانفسكم الايمان لتكونوا سفهاء ؟

هذا ايضا من السفه .. وهو يشهد عليهم ..

ان المناهقين لهم حياتان :

لهم حياة بين اتباعهم وحياة بين المؤمنين .

والآن .. انظر الى دقة الاداء القرآنى فى قوله تعالى
عنهم :

« واذا خلوا الى شياطينهم » ..

الشيطان هو الدس الخفى ، وهذا يحتاج الى خلوة ،
وما دام الكلام لا يقال الا فى خلوة اذن هناك علق يفضحه .

ولذلك تجد غير المتقين يحاول جاهدا ان يسنر مجال
حركته فى مجال الاستقامة ، وان محاولته ان يستتر هو
شهادة من نفسه على ان ذلك ظلم وقبيحة كما انه لا يجب
ان يعلمه احد ..

اى هى قبيحة

فالقيم هى القيم حتى عند المنحرف ..

نعود للآية « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » ..

كان المفروض ان تكون التكملة « واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا لم نؤمن » .

لم يقولوا آمنا .. ومقابلها هو لم نؤمن ..
لكننا نرى ان الجملة الفعلية تدل على التجدد .
اما الجملة الاسمية فتدل على الثبوت فمعهم مع الذين
آمنوا مذبذبون يقولون آمنا .

والايمان ليس ثابتا ، سيضيع ..

ففى الفترة بين القولين آمنا يكون هناك كفر ..

لكن .. لما يخلون الى شياطينهم يكونون على طبيعتهم

« قالوا انا معكم » فكلمة « انا معكم » لا تفارقهم لكن
كلمة « آمنا » تفارقتهم . وهذا دليل الدقة الادائية فى القرآن
الكريم .

جزاء المنافقين :

ان الله يستهزىء بالمنافقين .. ما دام قد قال : « انما
نحن مستهزعون » كان الله يقول للعبد المنافق ، مادمت نافقت
وقلت بلسانك ما ليس فى قلبك سنعاملك ايضا كذلك ..
سنقبل منك ظواهر الاشياء .. تناكحك اى ترتبط بالمسلمين
برباط الزواج ، ونورثك ، ونجرى عليك احكامنا ، ولكننا

نفوى لك انك تخلد لا فى النار ولكن فى الدرك الأسفل من النار .

وكما انك أيها المنافق جعلت لنفسك ظاهرا وباطنا مخالفا ، كذلك نحن لنا ظاهر نعاملك به الآن احتراما لاعلانك بأن لا اله الا الله ، فما كان لانسان أن يقول لا اله الا الله ويشهد أن محمدا رسول الله ثم نعهده بعد ذلك من الكافرين .

هل انت أيها المنافق .. انت وحدك الماكر !؟ كلا ..

فإنه حير الماكرين .. سيكون لنا أيضا معك ظاهر وباطن ..

نحن لا نساويك حتى بالكافر لانك أشد منه كفرا لانك انتفعت من ظاهرية الايمان فلا بد أن نعوضها لك ذلة كفر ..

وهكذا .. فالحق سبحانه وتعالى حين يقول : « انما نحن مستهزءون » يقول أيضا نحن نهزأ به ..

والاستهزاء يدل على السخرية .. أى أن تحاول أن تضحك على الغير .

يقول تعالى :

« ويل لكل همزة لمزة »

همزة اى يهز الناس ولو بالاشارة .. كأن يمر امامك
اعرج فتمثله .. الخ

اذن .. الهمزة واللمزة — بفتح الميم — هو الذى يهمز
غيره .

فالهمز — بتسكين الميم — هو الاستهزاء اى ان تسخر
من انسان ومعنى الكلمة ان هذا الانسان — الذى تسخر
منه — كان يجب ان يكون على شىء أنت تحبه ، فأنت تسخر
.. السخرية هنا علامة عدم ايمانية النفس لمخلوقيتها لاله
واحد ..

ان الصنعة لا عمل لها مع صانعها ، لأنك حين تعيب
كرسيا ليس من حقتك ان تعيب الكرسي وانما تعيب الذى
صنع الكرسي .

اذن فساعة تسخر من انسان — والانسان لا حيلة له
فى صنع نفسه .. اذن انت تسخر من خلق الله ..

ونحن نقول لذلك الساخر .. انك غبى لانك سخرت
من خلق الله ولم تقدر ما تفضل به الله على من سخرت منه
فى خصلة من بقية خصاله ..

ولذلك قال الله تعالى :

« عسى أن يكونوا خيرا منهم » .

والمقصود بذلك ان يكونوا خيرا منهم في خصلة اخرى
او ملكة اخرى فاذا كنت انا احسن منك في شيء ، فغفيري
احسن منى في الف شيء ..

صفة المؤمن وربيه :

ما دمت قلت : « يخادعون الله والذين آمنوا » يجب الا
تفصل اى عمل مع المؤمن عن رب المؤمن ..

فاذا استهزات بمؤمن لايمنه لا تفصل الاستهزاء عن
الرب ، وهذا هو معنى انهم يستهزعون بالمؤمنين ، ولكن
الجواب من عند الله انه يستهزىء بهم .. كان المفروض ان
يقول « المؤمنون يستهزعون بهم » لكن حين يقول تعالى :

« الله يستهزىء بهم .. »

كما قال تعالى :

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم »

اذن الصفة واحدة لان المؤمن لحم نفسه بالله .

ولهذا فالمنطقي أن يقول الله سبحانه وتعالى : « الله يستهزىء بهم » فليس الأمر مجرد حادث احادث ، وبشر لبشر ، ومحدود القوة لمحدود القوة . لكن الأمر هنا بين محدود القوة ومطلق القوة . يقول تعالى :

• (الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)
— البقرة ١٥ —

والمد هو أن تزيد في الشيء من ذاته ومن خارج عنه ، فمثلا قتلعة المطاط عند مدها تعطيك زيادة من ذاتها ، أما إذا ربطت خيطا بخيط آخر تكون اعطيت الخيط زيادة من غيره .

هذا هو الفرق بين مده وامده ..

عمى البصر والبصيرة :

• (... يمدهم في طغيانهم يعمهون)

وهذا الخلاف تبعه خلاف في الموضوع ..

كلمتا العمه والعمى الخلاف بينهما في الحرف الأخير ..
وهذا الخلاف تبعه خلاف في الموضوع

(م ٥ — اعداء الاسلام)

فالعَمى عَمى البصر .

والعمه عَمى البصيرة .. ويعمهون اى يتخبطون ..

والعمه ينشأ منه التخبط سواء كان تخبطا حسيا — عن طريق عَمى البصر — او تخبطا فى الامور المعنوية والقيم ومناهج الحياة اى فى البصيرة .. فان الاهم هو البصيرة فانها لا تعمى ولكن تعمى القلوب .

البصر يمكن الاستعاضة عنه ببصر الغير وهذا لا يسرى فى موضوع البصيرة ..

قال تعالى : : « يعمهون » اى يتحIRON ويتخبطون
وقل فيها ما شئت من تناقضات حركة الحياة .

« اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى »

حين نسمع كلمة اشترى ندرك ان هناك صفقة يستخدم فيها النقد .. لكن من قبل كانت السلع اثمانا لبعضها ، فقبل اختراع النقود كانت السلع ثمنا لبعضها البعض ، وبعد ان اصبحت النقود هى القيمة المعترف بها .. اى الثمن .. فان عملية الشراء تدل على عملية البيع . .

« اشترى الضلالة » ..

دفعنا الهدى ثمننا لها .. « اشترى الضلالة بالهدى »
والباء مادة تدخل على المتروك ، حين تشتري شيئا فترك
النقود أى المتروك هو الثمن ، والباء تدخل على المتروك .

والضلالة هنا سلعة ، ويشترط فى الثمن أن يكون معك
لكى تدفعه .. فهل كان معهم « هدى » .. لا بد أن هذا
يفيد أنهم كان معهم الهدى .. لقد مكثوا من الهدى ، من
دلالات وكتب منزلة واقناع وجدل فتركوا الهدى واخذوا
الضلالة ..

مدى الربح والخسارة :

وبعد ذلك يقول تعالى : « فما ربحت تجارتهم » ..

انظر الى دقة التناول فى الآية الكريمة .. لان التجارة
بيع وشراء .. الشارى مستهلك والبائع قد يكون منتجا او
وسيطا بين المنتج والمستهلك .

وحظ الوسيط فى هذه العملية يجعله تاجرا فنسمى
العملية تجارة .. انن التجارة وساطة بين مستهلك ومنتج
.. لكن هى متوقفة انفاذا على أن يتصل الوسيط بالمنتج ..

ثم بعد ذلك تبدأ تعلى للمستهلك وتبيع له .. فما حظك من هذه الحركة ؟ ..

فاذا كسبت يقال ربحت التجارة ..

ويقول الله تعالى : « ما ربحت تجارتهم » ..

اى لم يخسروا .. وانتبه الى ما يجيء بعد ذلك يقول تعالى :

« وما كانوا مهتدين » .. اى لم يبق لهم حتى الأصل ،

ماداموا ائستروا الضلالة بالهدى هم لم يخسروا فقط وانما زال الاصل ايضا .

.. لو لم يعلق الوسيط والتاجر نفسه على أمل الربح

ما اقبل على هذه التجارة .. هنا يفجعه الله فى الامل الزائل بعد ذلك فيقول له ليمد له فى الفجيرة .

« فما ربحت ... » ..

فالقرآن الكريم له اداءات غريبة ، فقد تستشرف النفس

ان تكون الصفقة غير رابحة فحسب .. لكن تأتى النقطة الثانية فيقول تعالى :

« فما كانوا مهتدين » .. وهنا تصعيد للفجیعة ، فلو انك تريد تعذیب انسان یستغیث ویطلب ماء فانك تأتي له بكوب ماء لكي تنقله الى مرتبة الأمل فی ربه بعد الظماً ، وعند فیه تسكب الماء على الأرض .. وهذا هو تصعيد الفجیعة ..

ومما قیل فی « الله یستهزیء بهم » انهم فی الآخر یفتح لهم باب الى الجنة لیروا الناس فی الجنة متنعمین ویتصوروا ان الله حن علیهم فمتستشرف نفوسهم انهم سیخرجون من العذاب وسیدخلون الجنة وعند الاقتراب من باب الجنة یعلق فی وجههم ، وهذا لون من الاستهزاء وفیه تصعيد للفجیعة ..

اما القرآن فیعالجها فی الآخرة حین یقول :

« وان یستغیثوا یفأثوا بماء كالمهل یشوی الوجوه »

لكن .. کب یفأثون .. هل بالماء .. ان الماء لا یغنی من جوع ، وفی هذا تصعيد للفجیعة ، ای تبدأ عملية انبساط وتیسیر ، وبعد ذلك تأتي عملية القبض ، ولذلك فمن اسالیب سياسة الاذلال ان تعود أحدا على عیشة عالیة لكي تغدر به .

كرامة المنافق :

ان هذه العملية النفاقية التي شرحها الله سبحانه

وتد ، عملية تحتاج الى بحث نفسى لكى نرى هذا المنافق هل
نفسانية او كرامة رجل ؟ ..

ان الذى يمكر ويبييت انما يدلل بذلك على ضعفه
لان القوى لا يمكر ولا يبييت .. لانه يواجه الاحداث بقوة ..

لكن المنافق ليست لديه قوة للمواجهة ، وهو متظاهر
بأنه يهادن الاحداث .. ومن يعمل ذلك يكون قد فقد اول
ما فقد رايه فى نفسه واحب رأى الناس فيه ، وساعة يحب
الانسان رأى الناس فيه قبل رايه فى نفسه فهذا اول بنود
حقارة الانسان امام نفسه .. لماذا ؟ ..

لاتك تستطيع ان تستر عيبك عن الناس ، ولكنك لا
تستطيع ان تستر عيبك عن نفسك مادمت ترى عيب نفسك
وانت راضى به ولا تريد ان يرى احدا عيبك معناه ان غيرك
من الناس اكرم من نفسك ، بدليل انك أردت رأيهم مع انك
تعرف رايك فى نفسك ، أردت ان يقولوا انك صادق ، وانت
تعلم انك كاذب اى انك لا تبالى برأى نفسك فى نفسك اى
ان نفسك حقيرة امام نفسك لانك تريد ان تعظم امام الناس
وانت حقير . يقول الشاعر :

كفى المرء عارا ان يرى عيب نفسه

وان كسان فى كن عن الجن والانس

وباختصار فان المهم هو رايك فى نفسك وليس راي
الناس فيك ..

كيف تعرف انك كاذب وتبر لائك كاذب ، وحين يعرف
الناس تحزن ..

اذن فنفسك حقيرة ، واذا خلى الانسان الى نفسه
ولستعرض شريط حياته ونظر الى تصرفاته فحين تجد انك
لست متناقض الملكات ستكرم امام نفسك وتحترمها .. اما من
يرى انه استطاع ان يوارى مع الناس — والى الآن لم نتحدث
بعد عن مواراته مع الله — وهو يعرفها بينه وبين نفسه ..
اذن فالناس فى تقديرىك — احسن من نفسك ، اى انت اقل
شأنا واقل كرامة من الناس .

اجره من هواه :

امر الله الكافر بان يؤمن به فلم يسمع وسمع هواه ،
ومادام قد عمل لهواه نانه ياخذ اجره من هواه .. وفى الآخرة
يفاجأ الكافر بوجود الله .

يقول تعالى :

**((والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه
والله سريع الحساب))** .
— النور ٣٩ —

بقية : أي صحراء .

وباليت الكافر لم يجد الماء فقط وانما هو يجد ان الله عنده يفاجا بوجوده .. ولم يكن في باله .. كأن الله تعالى يقول له ماذا تريد منى ولم اكن في بالك .. أخذت من الدنيا ما تريد ، لم نقطع عنك ما أحسنت من عملك .

« ووجد الله عنده فوفاه حسابه » .

جزاء المخترعين والعلماء :

قد يقول البعض ، ما هو جزاء الذى اخترع الميكروب او الدواء وامثالهم من فريق الكفار ؟

نقول .. ان الانسان يأخذ أجره من عمل له ، فهل كان في بلهم الله ، أم في بلهم الانسان والعالم والمجد والعظمة والجاه ، فأخذوا كل هذا وعملت عنهم الكتب ونالوا الميداليات التفكرية . ولا تقل ان الله افاتت عليهم بأن اضلهم انما ضل من فسق .

وكلمة فسق مأخوذة من الرطب ، فالبلح يمر بهراحل عديدة منها الرطبة حيث تخرج القشرة عن البلحة فتقول فسقت الرطبة أي خرجت من القشرة .. وهذه المصطلحات

من جنس ما كان عند العرب فأطلقوا كلمة الفاسق على من خرج من الاطار التكليفي كما خرجت الرطبة من قشرتها .

أى هو فسق اولا فأضله الله ثانيا ..

اذن يجب ان نفهم ان الحق سبحانه وتعالى حين خلق الانسان مسيرا فى بعض الاشياء خلقه مختارا فيما كلفه فيه ..

وما دام قد خلق مختارا فيما كلفه فيه لان التكليف دائما افعل ومقابلها لا تفعل فبالله عليك لو قلت لخدمك افعل كذا اليس من العقل ان تفهم انه يقدر الا يفعل .. اذن لو انه كان على طريقة انه لا يفعل ما كنت تقول ما قلته ..

اذن .. حين يقول الله فى كذا افعله وفى كذا لا تفعله .. حين يخاطب بالامر يكون خلقه مستعدا لعدم الاستجابة ..

اذن هو صالح للفعل وللترك .. فميزان المنهج ان يرجح بديلا عن بديل خاضعا فيه لامر الله . ولهذا فالذى ينسجم مع التكليف ويؤمن بالله ويأخذ التكليف عنه يعطيه المعونة ، اما الذى يتأبى على الله يمهد له الله ايضا فى الظلام .

عهد الفطرة والعقل :

يقول تعالى : « ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين » .
— البقرة ٢٦ —

اذن الذين آمنوا يستقبلون كل شيء برصيد الايمان بالله يكون حديث المؤمن لنفسه : ان ما فهمته قد فهمته أما ما لم افهمه فله حكمة قد افهمها فيما بعد وقد تكون الحكمة في الا افهمها حتى يصدق على اننى آمنت بالغيب لمجرد حضور الغيب عن الله ..

تقول الآية الكريمة :

« وما يضل به الا الفاسقين » ..

الفاسقون هم الذين ينتقضون عهد الله ، وهذا هو اول شيء فى الفسق .

أما العهد فهو الميثاق المؤكد بنية الوفاء له ..

ومتى كان العهد ؟

حين يخلق الله لك عقلا تميز به في أمور دنيائك ما يضرك
وما ينفعك كان يجب ان توجه ذلك العقل في قمة ما وصل اليك
النعمة منه .

فهب أنك في صحراء ونصبت الخيمة ونمت وحدك ثم
فوجئت بمائدة عليها اطاييب الطعام فبالله قبل ان تأكل الا تفكر
فيمين جاء لك بهذا ؟ ..

كذلك أنت في الكون فوجئت أنك مخدوم بنعم ، هذه
النعم لم تفعلها أنت وما ادعى واحد مثلك من قبلك انه فعلها
اما كان من الواجب ان تسأل من أين جاءت هذه النعم ؟ .

اذن فالعهد الأول عهد الفطرة في التفكير في النعمة ،
حين لا تفكر في النافع فكأن هذا العهد الفطري الفكري العتلى
قد نقضته وانت لم تنقضه في أمور حياتك لانك فكرت فيما
ينفعك اما لو لم تفكر فالأمر يختلف ولذلك اعفى الله المجنون .

بين طاقة الايمان والكفر :

ما يأتي عن الله يستقبله المؤمن بنفس ويستقبله الكافر
بنفس . فكل يستقبل ما يأتي من عند الله بطاقة الايمان او
طاقة الكفر ، فالذى يؤمن بالله يرتب كل ما يبلغه عن الله
نتيجة للايمان بالله .

ومادام تد آمن بالله ربا خالقا قادرا حكيما ، وارتضى
ان يعتقد كل ذلك فيه ، فمناقشته في شيء يصدر عنه رجوع
في اصل القضية اليمانية .

فمادمت آمنتم بأن الله قادر وانه حكيم وانه عليم فحين
تستقبل منه شيئا لابد ان تستقبله برصيد من حيثيات الايمان
الذى آمنتم به ، فان عزلت الشيء الذى يبلغك عنه لتبذنه
بحنا جيدا فاعلم انك رجعت في القضية اليمانية ولذلك حين
يكلفنا الله بالعبادة لا يقول يا ايها الناس اكلفكم بكذا ، وانما
كلف الذين آمنوا . .

« يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم »

اى يا من آمنتم بى الها ووثقت بى قادرا حكيما عليما
مأمونا على صنعمته وهو خلقه انا اكلفك بكذا وكذا وكذا . .
ولا يصح بعد ذلك ان تناقش التكليف من جديد لانك لو ناقشت
التكليف فكانك رجعت في اصل القضية اليمانية الاولى . .
فحيثية كل امر تكلفى تستقبله عن الله هو الايمان به ، والايمان
بالشيء يقتضى تصديق كل ما يند اليك عن طريقه .

نضرب مثلا في الرسول صلى الله عليه وسلم حينما
حدث القوم انه اسرى به ، التقطوها منه وارادوا ان يزلزلوا
بها ايمان ابي بكر فقالوا له ان صاحبك يدعى انه اتى الى

بيت المقدس ، وهم يظنون أن أبا بكر سينخلع من هذا الخبر
فماذا قال أبو بكر ؟

قال : أن كان قال فقد صدق ..

انتهت المسألة ..

وقال أيضا .. الصدقة في خير يأتيه من السماء ولا
اصدقه في أنه انتقل الى بيت المقدس ؟ !

أعطانا هنا قضية صديقية ..

اذن عقلى استخدمته في القمة الأولى في اننى آمنت به
كأله وآمنت بالمبلغ عنه كرسول وبعد ذلك آمنت على ان يبلغنى
ما يريد ..

وواقعة اخرى .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اقترض مالا من شخص وبعد ذلك أدى رسول الله
ذلك المال بينه وبين الدائن ، ولم يكن أحد موجودا ..
فلما طال العهد .. حدث الدائن نفسه بأن يذهب الى رسول
الله ليطلب منه الدين فلعله نسى ، فقال له رسول الله :
اننى اعطيتك الدين ..

فقال : ما أدبت ..

قال : بل ادبت ..

وكان « خزيمة » هناك فقال .. نعم اداك ، وانا رايته — رغم انه لم يكن موجودا .

وبعد ذلك قال رسول الله لخزيمة : ما كان معى احد ابدا حينما ادبت هذا الدين ، قال يا رسول الله الصدق في كل ما جئت به ثم اكذبك في كذا درهم ؟ .

انظروا الى فقه الايمان وفقه الاجتهاد ..

ثم انظروا الى القضية الماضية وصلتها بجامع القرآن .. فحينما رئى أن يجمع القرآن من صدور الصحابة ومن سطور الكتب كان الذى يتولى هذه العملية لا يكتب الآية الا اذا رآها مكتوبة وشهد بها اثنان .. وبعد ذلك .. وجدت آية مكتوبة شهد بها واحد فقط وهو خزيمة فتبليت شهادته وحدها لأن رسول الله قال فيه « من شهد له خزيمة فحسبه » .. وهكذا نرى أن القضية السابقة حدثت لتخدم هذه القضية التى عرضنا لها .. وهنا يتضح استقبال المؤمن للأشياء ..

ولذلك انا اقول دائما للذى يحاول أن يوجد لكل امر تعبدي حكمه اقول له .. حم حول الحكمة ما شئت ..

لكن لا تدعى ان تلك هي الحكمة فحكمة الله كمال وانكمال
عند الله لا يتنافى ، فحكمه لا تتنافى اما استنباطك فيتنافى ..

والحكمة متمثلة في كل تكليف امر الله به .. فحين يأمرك
الله بعمل شيء فلا ينبغى ان تسأله .. لأن هذا ليس عمك ..

فهل علة الأمر تكون عند المأمور به أم عند الأمر؟ ..

وهل يعلم الطفل الحكمة في جرعة الدواء المرة- حينما
نسقيه هذه الجرعة ؟ لكن الذى يعلم أمرها وحكمتها الذى
أمر بها ووصفها فاذا نضج عقل الطفل بعد ذلك لعله
يعرفها ..

ومثلا .. عندما يمرض الانسان يشغل عقله فيسأل
نفسه ما الذى حدث ؟ .. الأنتى اكلت مرضت ؟ .. اذن المرض
فى الجهاز الهضمى فيسأل عن طبيب باطنى متخصص ، وهذه
هى عملية العقل ، فاذا ما انتهى الى طبيب كشف وشخص
مرضه وامسك بالآزم ليكتب الدواء .. وانا لا امسك قلّمه
او اقول له لا تكتب لى دواء أو اناقشه .. لأن عقلى انتهى
الى انه هو الطبيب ثم بعد أن ذهبت اليه استمعت اليه فقط ،
واذا جاءك زائر وسألك لماذا تشرب هذا الدواء فهل تدخل
معه فى متاهة كيمائية .. لا .. انك تقول هكذا قال الطبيب .
كذلك انت تصوم لأن الله قال لك صم ، وتصلى لأن الله

قال لك صل .. واياك أن تعلق الحكم على علته ؛ فمن يصوم لأن الصوم يشفيه من مرضه فصومه نيس عبادة ومثله مثل مجوسى يصوم من أجل الشفاء .

فالأصل في المؤمن أن يقبل من الله الأمر دون أن يعلم علة الأمر وهذا هو الايمان ..

بين مجوسى ومسلم :

كان بعض الناس الذين كانوا على غير دين يجادلون كثيرا من المؤمنين في قضايا دينهم فيقول المجوسى للمسلم في بغداد : اتدعون انكم اذا ذهبتم الى الجنة كلما تأكلون شيئا لا ينقص رغم ان كل شيء تأخذ منه ينقص !! ..

اولا هنا غياب في اطلاق العبارة لكنه استخفاف ..

قال له المسلم : ارايت لو انك اشعلت سراجك ثم جاء اهل بغداد جميعا فأشعلوا سروجهم من سراجك اينقص من ضوء سراجك شيء ؟ ..

سكت المجوسى ثم قال : وتدعون انكم تأكلون في الجنة ولا تنفون !! ..

المجوسى هنا يريد ان يقيس الأمور بمقياس الدنيا .

فقال له المسلم : وما وجه العجب ، ان الجنين فى بطن أمه ينمو ، ولكى ينمو فانه ينفذى ، والانسان ينمو ما دام الغذاء الذى يدخله اكبر مما يخرج منه ، ولو تفرط الطفل فى بطن أمه لاحترق فى مشيمته ..

الله أم القضية ؟

ان المؤمن يستقبل الكلام عن الله ويستقبل الكلام عن صادق المبلغ لله بأنه حق وهو لا يريد ان يعطئن نفسه لأن هذا هو كلام الله ، وانما يريد ان يرد على من يريد ان يزلزل عقيدته ..

((فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم))

هو حق فى اجماله .. والا .. اذا كنت انا سأناقشه فى كل قضية هذا يعنى اننى لم اؤمن به وانما آمنت بالقضية واطلب لكل قضية تطبيق ..

وكلمة رب اى من يتولى تربيتك وهو السيد عليك ..

انظروا الى الانسان مع ابنائه ، فمع انه لم يخلطهم ،

(م ٦ - اعداء الاسلام)

ورغم انه هو فقط سبب في الوجود يظل يرببهم ، والام
تتحمل المشقات بطاقة الجنان ، والاب يجوع ويشبعهم ،
ويتعري ويكسيهم .. فلماذا ؟.. اذا كان الذى لم يخلق
وهو سبب فقط ، لماذا يعنى هذه العناية ويتعب هذا التعب
ويقذف الله في قلبه طاقة من الحب ومن الحنان ومن العاطفة
على قدر حاجة الربى ..

ولذلك لما سئلت اعرابية .. اى بنيك احب اليك ؟
قالت : الصغير حتى يكبر والمريض حتى يشفى والغائب
حتى يعود ..

ولذلك يقول ربنا يا ابن آدم انا لك محب فيجبنى عليك
كن لى محبا . اى ان الله سبحانه وتعالى يعاملك معاملة
المحب ، وبعد ذلك لا يتغير عليك بمجرد الخطأ ، ولكنه يفتح
لك باب التوبة مثل الاب ..

ثم انظر الى الكون الذى ضج من ابن آدم لان الكون
كله عابد ، مسبح ، ساجد ، كله في نظام ، اما المختل
في الكون ففى المسائل التى لابن آدم اختيار فيها .. والمسائل
التى لا اختيار لابن آدم فيها ولا عمل له فيها مستقيمة ..
اذن .. اختيار بنى آدم هو الذى يفسد الدنيا ..

هل قتلت الشمس مرة انا لن اطلع اليوم على
ابن آدم ؟ ..

هل قالت الريح لن اهب واعطيه هواء ؟..

هل الحمار رفض حمل اثناله ؟..

لا .. اذن .. الخيبة هي في اختيارك انت .. اختيارك
غير المحروس بمنهج الله .. ولو انك اخذت اختيارك بمنهج
الله لحرست هذا الاختيار من ان يضل .

الكون اذن غاضب من ابن آدم ..

السماء قالت يا رب .. اذن لى ان اسقط كسفا على
ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك ..

والارض قالت يا رب اذن لى ان اخسف بابن آدم فقد
طعم خيرك ومنع شكرك ..

والجبال قال يا رب اذن لى ان اسقط على ابن آدم
فقد طعم خيرك ومنع شراك ..

فماذا قال الرب ؟! قال .. لو خلقتموه لرحمتموه ..
اتركونى وعبادى فان تابوا الى فانا حبيبهم وان لم يتوبوا
فانا طبيبهم ..

هذا هو الرد ..

اذن المؤمن ساعة يستقبل عن الله يعلم ان كل ما يستقبله
عن الله حق ، والتقدير المراد من الانسان في استقباله عن الله
ان يعلم انه حق . اما كدفية انه حق ، فليس من الضروري
ان نعرفها .. لماذا ؟ لانك لو عرفت كل شيء بعلة لما كان
لايمانك معنى ..

ولذلك النصيصة على الايمان يأتى اولا بالايمان
بالغيب ، لاذك لا تؤمن بما هو غائب عنك الا لثقتك بأن الذى
قاله حق ..

الاستقبال الاول : « فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم » .

والاستقبال الثانى : « واما الذين كفروا فيقواون
ماذا اراد الله » .

المحكم والمتشابه :

علينا ان نفرق دائما بين الفاعل والقابل ، فالفاعل واحد
انما القابل مختلف ، انت مثلا فى الشتاء تخرج من بيتك صباحا
تنفخ فى يدك طلبا للدفء لتتنقل لها الدفء ، وعند شرب كوب
شاي تنفخ فيها لتبرد ، فما دمت تنفخ فى هذه لتسخن وفى تلك
لتبرد ، نلاحظ ان الفاعل واحد ويأتى للشئ وضده لأن القابل
مختلف .. يقول تعالى :

« ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم » . (محمد : ١٦)

وفي سورة غفلت يقول تعالى : « واو جعلناه قرءانا أعجميا لقالوا لولا فصات آياته أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من كان بعيد » . (فصلت : ٤٤)

القرآن واحد لكن القسايل مختلف . وكذلك الأمر في استقبال كل الغيبيات .. واستقبال كل الأشياء التى يقف فيها العقل المؤمن يستقبلها على انها حق من حق ، فهمها او لم يفهمها ..

ولذلك قلنا ان هذا هو السبب في وجود التشابه في القرآن الكريم .. فلماذا جاء التشابه في القرآن ؟ ..

القرآن جاء ليبين لنا احكام ..

والتشابه جاء في القرآن ليعطينى معايير الايمان ..

« منه آيات محكمات » ..

فالامر الذى يتعلق بحكم مطلوب منك واضح تمام

موضوع ، لها الأمر الذى يتعلق بكونيات قد تضيق بها عقول
معاصرة ثم تأتى لتشرحها فيما بعد عقول معاصرة اخرى
تأتى بها الله ..

« منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات
لما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم
يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب » .
(آل عمران : ٧)

الراسخون فى العلم يقولون آمنا بالله وان لم نفهم
مفيد ، فكل من عند الله .. اى محكمه من عند الله ومتشابهه
من عند الله ..

والسبب ان العقل وسيلة ادراك ، والعين والأذن
كذلك ، فهل للعين ان تدرك كل شىء أم لها حدود تدرك
مندها .. وللأذن ايضا حدود تسمع عندها ، بحيث اذا اتعد
الصوت لا تصل الذبذبة فلا نسمع ..

والعقل ايضا له حد .. ولذلك قال النبى :

« وما عرفتم من محكمه فاعملوا به ، وما عرفتم
من متشابهه فأمنوا به » .

ويقول تعالى :

« فلما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ،
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا » .

الحق سبحانه وتعالى جعل للمؤمن ابتلاء ، والابتلاء
يجب ان يفهم على نه امتحان ..

اذا احضرت قطعة من الذهب و اردت ان اعرف
هل هي حنوشة ام اصيلة .. ابتليها بالنار لكي ارى
ما هي

يريد ان يميز الخبيث من الطيب ، وهو يمام
من الايث ومن الطيب ..

انما يريد ان يكون هذا العلم بشهادتك انت لانه لو قال
بعلم فيك ربما تقول لو كنت انتظرت كنت نجحت ..

اله لمن ، ورب لمن ؟!

ان الله سبحانه وتعالى .. اغنى الشركاء عن الشرك ،
لذلك فلنعلم ان الحق رب للجميع لكنه ليس الها للجميع ،
وانما هو اله لمن يعبده ، لكن هو رب للجميع .. فهل عدم
عبادته من بعض الناس منع عنه سيال الربوبية ؟ .. لا ..

قال للشمس اطلعى ويا ارض استجيبى ..

هذا هو عطاء الربوبية ..

فمن آمن بالحق الها يأخذ عطاء ربوبيته وعطاء
الوهيته ، أما من كفر به يأخذ عطاء الربوبية فقط ..

لكن فى الآخرة لا يكون للكافر عند الله شىء ..
لأنه لم يعمل الا للأسباب والمسببات ..

* * *

تم بحمد الله

